في مديح أبي

ما زال أبي بسرواله الفضفاض
وقميصه المطرز من رائحة التراب
وجبهته الواسعة كحقل قمح،
ما زال ينظر بعينين
متلهفتين وعاشقتين
إلى أشجار الزيتون الخضراء
ويقيس المسافة بسكّر الشوق
بين "شيخ الحديد" و"بون"
التي حفظ اسمها عن ظهر قلب.
ما زال يهدر كنهر «عفرين»
صلباً، عنيداً وخشناً
لا يخاف إلا الله
وفراق ابنٍ آخر.
ما زال بلغته العربية الركيكة
يكر الدعاء

على مسبحة الصلاة
كل يوم خمس مرات
طالباً من الله ألف مرة
بين كل ركعة وركعة
أن يحفظ أبناءه من كل مكروه.
ما زال بسيطاً
ينحني للضيوف،
للصلاة،
ولشتلات بستانه الصغير
ولا لشيء آخر.
ما زال يجلس
على كرسيه الخشبي القديم
متوسطاً صحن الدار
يدير الحديث مع ضيوفه بكبرياء
يستمع إليهم بكبرياء
يصمت بكبرياء
يضحك بكبرياء
ويصافح الأفق البعيد..
البعيد
بكبرياء أيضاً.

ما زال يقارن
بين الفراشات والإنسان،
بين الأشجار والإنسان،
بين الحبِّ والإنسان،
بين الشمس والإنسان،
بين الأرض والإنسان،
.....
.....
لكنه عندما يستمع
إلى نشرة الأخبار كل يوم
من مذياعه القديم
الذي لا يفارقه أبداً،
تغزو تقاسيم وجهه التجاعيد
وعشرات السنين من الحزن
متمتماً:
رغم ذلك ما أجمل الإنسان!
بون، ٢٥/ ١٠/ ٢٠٠١